الصناعات في سوريا ولبنان

(٥)

(٢٠) دبغ الجلود

دبغ الجلود من اهم الصناعات السورية التي تستمد مادتها الاولية من الحيوانات الا ان المدابغ في سوريا ليست بعديدة وم اكزها هي حلب ودمشق وزحلة ومشغرة. وينيف ما يدبغ فيها سنويًا على مليون ونصف مليون سبتًا من جلود المعز والخراف والبقر الا ان الطريقة المتبعة في ذلك عتيقة عقيمة . وقد كان الجلد الخام يصدر قبل الحرب الى اوربا ولم تكن سوريا تستعمل منهُ الا النزر اليسير نظراً لدناءة صنفهِ فلم يكن يعمل فيها الا احذية سكان الجبال واما الجلود المدبوغة والخامة اللازمة لاستهلاك اهل المدن فكانت ترد من ممالك اوربا المختلفة . فلما نشبت الحرب وانقطع الوارد انتهزت المصانع الوطنية تلك الفرصة فغمرت الاسواق بجلودها لتحل على الامكان محل ما كان يأتي من الخارج . وكنا يتمنى ان يستمر هذا الحال حتى لا تضطر البلاد الى الالتجاء الى المواد الاوربية لتسد حاجة اهلها من الاحذية . ولبلوغ هذا الغرض لا بد من ان تتبع المدابغ الموجودة احدث الطرق التي ادخلت على تلك الصناعة لان الاساليب الحالية المستخدمة هي عين الطرق السادجة التي يرجع تاريخها الى القرون الوسطى

(٢١) البضائع الصوفية

يصدر في كل عام من ثغور اسكندرونة وطرابلس وبيروت من صوف الغنم ما تصل قيمتهُ الى سبعة ملايين من الفرنكات ويباع ذلك الصوف في اوربا بثمن زهيد ثم يعود الينا منسوجاً انواعاً متنوعة من الاجواخ تباع في مخازننا باثمان مرتفعة . فبيروت وحدها تستورد من تلك البضائع ما يربو ثمنهُ على ثلاثة ملايين من الفرنكات

ومن المخجل انهُ لم يبذل اي مسعى جدي لاكثار ربحنا من الصوف الذي تصدر منهُ بلادنا الشيء الكثير وان وجد في قرانا ومدننا الداخلية بضعة انوال يغزل فيها الصوف لصنع العباءات وغيرها من الملابس فان ما تنتجهُ قليل جدًّا ويلزم بذل الجهد في احياء تلك الصناعة الرائجة مع استعمال الطرق الحديثة فيها.

ولست اعني بذلك ان يخرج المصنع الحديث ما يزاحم منسوجات روبيه وريمس وفرقيه وملهوز وليدز وكس لانشابل بل يجب ان تقتصر انوالهُ على اخراج ما يسهل نسجهُ ويسرع توزيعهُ كالجوخ السميك والاغطية والشيلان الجوخية . ولنعدْ في ذلك حذو بغداد اذ قد تم فيها منذ ٤٠ سنة ان شيد مدحت باشا السياسي المشهور مصنعاً لنسج ما يلزم للجيش من الاجواخ ظل يعمل ويؤدي خدمات جليلة للاهالي وللحكومة وكل منسوجاتهِ مرضية من جميع الوجوه

ورب سائل يقول لمَ لا نستعمل اصوافنا في صنع الطرابيش ؟ حقيقة ان عدم وجود ابسط المصانع من هذا النوع لدينا يعد وصمة لكبريائنا

اما صنع السجاد ومادتهُ الاولية هي ايضاً الصوف فتأخر في سوريا فيلزم توسيع نطاقهِ في مراكز دمشق وحلب وطرابلس وعكا حيث ذاع صيتهُ وليس ثمت مسوغ لتفوق الاناضول وايران على سوريا في تلك الصناعة فان للعامل السوري من الوسائل والصفات ما يؤهلهُ لعمل أبسطة تناظر ما عند جيرانهِ

(٢٢) مواد البناء

نسرد تحت هذا العنوان المواد الاساسية كالآجُر والقرميد والكلس والجص والسمنت وكلها تأتي الينا من الخارج الاَّ الكلس العادي الذي يصنع في جهات عدة في افران متقطعة الايقاد ساذجة الشكل تبنى عند اطراف الغابات . ومن الميسور عمل المواد الاخرى لان طبقات الارض الطبيعية تحوي العناصر اللازمة لصنعها . والبرهان الماثل امامنا على ذلك هو مصنع الآجر والقرميد المنشأ قرب بيروت وكذا افران الكلس الهيدروليكي في دكوانة وشتورا وطرابلس

ان ما يستهلك من تلك المواد عامة هائل المقدار فان ما يصل منها الى جمرك بيروت يبلغ سنوياً ١٥٠٠٠ طن من السمنت والكلس الهيدروليكي وكذا ١٠٠٠٠ طن من الآجر والقرميد ويمكن تقدير ما تشتريهِ سوريا من الخارج من مواد البناء المذكورة بنحو ٦٠٠٠٠٠٠ فرنك فلامراء ان مصلحتنا الخاصة تقضي علينا بصنع تلك المواد في المناطق التي تحوي تربتها العناصر اللازمة لذلك وبادخال هذه الصناعة الجديدة الى بلادنا وبتحسين الموجود فيها الآن باستخدام الافران المستمرة الايقاد يسهل منافسة الانواع الاوربية علاوة على جر المغنم للعولمين فان سوريا تتأهب في عصرها الجديد للاستزادة من المباني علاوة على ما فيها الآن منها

(٢٣) صناعة المعادن

من الصناعات التي تستحق ان نخص بالذكر من بين صناعات المعادن صناعة سبك الاجراس في بيت شباب التي تأسست سنة ١٧٨٠ وقد كان المعدن المستعمل في ذلك يحضر من الحديد اللبناني واما الآن فهو يجلب من الخارج لرخص ثمنه وبيت شباب تصنع اجراساً من جميع الاحجام لكل مدن سوريا وقراها

ولنذكر ايضاً صناعة الآنية النحاسية والاسلحة البيضاء الدمشقية التي طبق صيتها الآفاق من عدة قرون لجودة فولاذها على ان الطرق المستعملة في تلك الصناعات ما زالت على عهدها القطري ولا ريب في ان استخدام الآلات الحديثة لما يسبب انتشار ما تحدثهُ مما لا تقلُّ شهرتهُ في هذه البلاد عما هي عليهِ في غيرها

(٢٤) الزجاج والخزف

في بيروت ودمشق وحلب مصانع للزجاج والخزف في حالة متأخرة فان امكن الحصول على الوقود بثمن زهيد اتجه الفكر الى انهاض تلك الصناعات التي اشتهرت فيما مضى سواء في صور او في دمشق وذلك لكي يتيسر على الاقل امداد بلادنا بمقطوعيتها العادية من تلك الاواني بدل استيرادها من الخارج

(٢٥) صناعات شتى

هناك ايضاً مهن اخرى اقل شأناً وهي الصباغة والدباغة والتعدين وتربية النحل وصيد الاسفنج وصناعة الالبان وادارة الفنادق . . . . الخ وكلها بلا استثناء تعد من الاعمال المربحة ان تشجعت بالاقبال عليها واجيدت ممارستها

اما درس ادارة الفنادق فيجدر ان يعنى بامرهِ كثيراً وهو في سوريا يبشر من بين جميع المهن السابقة بمستقبل باهر

(٢٦) ادارة الفنادق وتوافد السيّاح

طالما كثرت مقارنة سويسرا بجبال لبنان والانهارية والامنوس وان تلك المقارنة قد تخرج عن التملق الى الحقيقة يوماً ما اذا سعى الاهالي لالباس تلك المهامه القفراء ثوب روائها القشيب السابق الذي تلتمع برده الغابات . وجل من زار بلادنا من المؤلفين كتب عنها مطرياً جمال جبالها واوديتها الذي يأخذ بمجامع القلوب . ولا مراء في ان جبال لبنان كانت في عهد سليمان الحكيم اخضر خضرة ومنظرها اجمل مما هي عليهِ اليوم حتى استدعت إعجاب الملك سليمان

وسوريا الواقعة ما بين مصر والعراق وهما مملكتان حيرهما في الصيف شديد منهك تكونان لاهل وادي النيل ولاهل دجلة والفرات الاسثلين لهم الملجأ لا نعاش الاجساد والنفوس. وكثيرة هي الاماكن الشهيرة التي يؤمها الناس في فصل الصيف للتمتع بهوائها البليل . ولكل من المدن الكبيرة الواقعة على الساحل البحري مصايف خاصة بها متفرقة في الجبال المجاورة لها فلاسكندرونة مصائفها وللاذقية مصائفها . ولطرابلس مصائفها في أهدن وبشري وحصرون والحدث والديمان . ولجونية مصائفها في غزير وريفون وعشقوت وحريسة والزوق. ولبيروت مصائفها في بكفيا وظهور الشوير وبرمانا وبيت مري وعاريا وبحمدون وصوفر وعاليه وعين زحلتا وزحلة. ولصيدا وصور مصايفها في جزين ودير القمر والباروك وجبل عامل او الشقيف وبلاد بشاره. ولدمشق مصائفها في بلودان والزبداني وما اليهما

وتأوي جميع تلك البلاد جمًّا غفيراً من السوريين والاجانب وهم يؤجرون بيوتاً مدة الصيف واما من لا يستطيع الاقتناء مدة محدودة فيها فيسكن فنادقها

ولكل من تلك الاماكن طابعها الخاص حتى ليجد فيها كل الناس ما يلائم امزجتهم على اختلافها من ميل الى الحياة العصرية الحافلة او بالعكس من حب الحياة الارياف الهادئة او من تفضيل الاقامة في المناطق المرتفعة للتمتع بهوائها المنعش وشرب مائها العذب أو من رغبة في معيشة البسط بجوار عين ماء او غدير جار . وجل تلك الاماكن يفيد المرضى والناقهين ومنها لهم خير علاج

ويتيسر للسوريين كالمصريين والعراقيين ان يحظوا في الاماتوس والانصارية ولبنان بقضاء فصل الصيف بهناء وهدوء ويمكن ان تبدأ اقامتهم فيها بشهر ابريل في الربيع وان تنتهي بنوفمبر في الخريف

وفوق تلك المزايا الفاتنة الصحية فلسوريا من الآثار التاريخية من بقايا المدنيات الغابرة ما يستغرق اهتمام زائريها وهي تكثر في دمشق وتدمر وبعلبك وصور وصيدا وجبيل وحمص وحماه وطرابلس وانطاكية .

واغلب تلك المراكز سواء أكانت في الجبال او في السهول او على شاطىء البحر يرتبط بعضها ببعض اما بسكك حديدية او بطرق تسير فيها المركبات وقد تقدم ان الفنادق والخانات موجودة في معظم جهاتها الا ان تلك الفنادق والطرق لم تتكمل بعد كل ما يلزم لها ما عدا القليل منها

الفنادق

ليس في سوريا كلها فندق واحد جدير بهذا الاسم وان نزل صوفر قد يصح ان يشذّ عن ذلك لولا انهُ يتحول في بعض ايام الاسبوع الى مباءة للصب القمار مما يشمئز منهُ عدد كبير من زوارهِ الذين استوهُ ليجدوا فيهِ شيئاً آخر غير انتعالات اصحاب المائدة الخضراء . ومما يؤسف لهُ ان القاعات المخصصة للمقامرة غير مفصولة في جناح خاص

لقد بلغ من شقاء سوريا ان اصبح الميسر فيها مرضاً مستعصياً في جميع الطبقات. ولو ان شطراً من الوقت الذي يقضى عن طيب خاطر في معرفة البخت صرف في العمل والدرس ولو ان المبالغ الطائلة التي تلقى بسخاء في لعبة البكاراه او الروليت وضعت في مشاريع تجارية او صناعية لاتى ذلك بالخير العميم للبلاد

لقد قاست سوريا كثيراً من جراء الحرب وقد عضها الفقر بنابهِ وانحط فيها المستوى الادبي فذوت حتى غابت معالمها ولا رجاعها الى سيرتها الاولى لا بد لكل وطني ان يؤدي نصيبهُ من السعي في احيائها الذي قامت بهِ بكل مقدرة النخبة العاملة المفكرة من الشبيبة السورية وينبغي لهُ ايضاً ان يحترز جهدهُ من الميسر واذ يجدّ محتفظاً بتراث آبائهِ

اذا شئنا ان تصبح سوريا مملكة جديرة بورود السيّاح اليها كسويسرة وبعض جهات فرنسا فيجب ان تشيد فنادقها حسب القواعد الصحية والنمط الحديث وان يكون خدمها من الاكفاء حتى يجد السائحون فيها كل اسباب الراحة والنظافة والهدوء . فينبغي والحالة هذه احداث انقلاب عظيم في ادارة النزل التي بلغت عندنا حدّاً كبيراً من التقهقر فالكل يشكو منها رغم ان المقيمين بها يدفعون اجوراً عالية مقابل سكناهم وطعامهم

ينبغي لبيروت وهي المحسوبة مرفأ سوريا الاساسي ان تحوي فندقاً فخماً يبلغ من الكبر ما يلزم لايواء الشطر الاكبر ممن يفدون لزيارتها ويجد فيهِ الآتون للتجارة من اسباب الراحة ما لم يكن متيسراً من قبل

ولا بد من انشاء فندق بمثل هذا الجرم ومن مثل هذا الطراز في جميع المراكز الرئيسية كما انهُ يلزم بناء نزل اقل شأناً وكذا خانات متوسطة الحال في المراكز الاقل اهمية الاّ انهُ يجب ان تحوي كل ما من شأنه توفير الراحة للسياح. نعم ان هناك

بعض فنادق متسعة الاَّ انهُ ينقصها بعض التعديل اللطيف حتى تصير وفى بالغرض

ويشكو كل السياح تقريباً مما يستولي عليهم من الملل اثناء حنهم وترحالهم من بيروت . وسبب مضايقتهم الطرق الخشنة التي يتبعها نوتية الميناء المكلفون نقل الامتعة لان السفن لا ترسو بمحاذاة الرصيف فيلزم والحالة هذه الالتجاء للزوارق. كذلك يشكون من السلالم الضيقة غير الملائمة الموجودة في السفن. ومن منا لم يشعر بدنو ساعته الاخيرة حين صعوده او هبوطه تلك السلالم المتحركة التي فيها يتعرض كل لحظة لزلة القدم والسقوط في البحر بسبب ما عليها من الصناديق والطرود ومختلف الامتعة والمسافرين والنوتية ووكلاء الفنادق والباعة . . . الخ فهذا الانتقال من السفن الى البر او بالعكس مرتبك النظام وقد ظل كما كان عليه قبل الحرب دون ان يدخلهُ اي تحسين مع انهُ يقال اننا منحنا شرطة حسنة الادارة يرأسها وكلاء اخصائيون فمن المعقول انها تقوم بما تفرضهُ عليها واجباتها. ولا بد لتلك الشرطة الجديدة ان تعمل بصرامة اكثر اثناء تلك الساعات التي يحدث فيها الارتباك لكي تمنعهُ وتمنع اختلال النظام كما انهُ يلزم ان يصدر اوامر مشددة وتنشر تعريفات مقررة للنقل تحاشياً للاضطراب والمشاحنات وبذلك ينظر النوتية الى التزام الادب نحو المسافرين . ويندبني لشركات الملاحة ان تشترك مع جمعية المرافىء والارصفة البيروتية في اتباع طريقة للانتقال من السفن الى البر اقل مشقة من السابقة على نسق ما يتم في الموانىء الاوربية الكبيرة وبذلك لا يكون المسافر هو وامتعتهُ عرضة للمضايقة والخسارة حين وصوله الميناء اوسفره منهُ

كانت اجور السفر بحراً بين مصر وسوريا قبل نشوب الحرب مما حمل كثيرين من المصريين والسوريين المقيمين بوادي النيل على قضاء الصيف في لبنان واما الآن فجل هؤلاء سيما ذوي الاسر الكبيرة العدد ينفضون الطرف آسفين عن تلك المصايف نظراً لاجور النقل الباهظة التي تتقاضى منهم بعد الحرب حتى بلغت ثلاثة امثال بل اربعة امثال ما كانت عليهِ قبلاً . فلمَ لا يتوسط قادة الرأي منا لدى الشركات البحرية لتخفيض اجورهم كما فعلت شركة « البواخر الخديوية » للسفر ما بين بورت سعيد وقبرص اذ جعلت اجرة المسافر ثلاثة جنيهات مع انها الى سوريا اثنا عشر جنيهاً على تساوي المرحلتين ادمون بشارة المهندس